مجلة جامعة بنغازي العلمية

http://journals.uob.edu.ly/sjuob

سيميائية الصائت الواقع قبل نون التوكيد في القرآن الكريم

نجاة سعد محمد البكوش [*1]

1 قسم اللغة العربية وآدابها-كلية الآداب ـ جامعة بنغازي ـليبيا.

تاريخ الاستلام: 14 / 03 / 2022 تاريخ القبول: 03 / 06 / 2022

الملخص:

اختلف علماء النحو قديما في تفسير تغيُّـرِ حركة الحرف الواقع قبل نون التوكيد، منذ سيبويه، وحاول بعض العلماء المحدثين تحليل النسيج المقطعي لنون التوكيد، وبيان أثرها على المضارع المؤكد بها؛ ورفض بعضهم ذلك التحليل؛ فالأسلاف قد تنبهوا لأثر نون التوكيد على بنية الفعل، مثل ما تنبهوا للواحق الصرفية الأخرى التي تلحق بأبنية الأسماء والأفعال في العربية؛ لذلك كان من أهداف هذا البحث عرض جهود النحويين في تحليل أثر نون التوكيد على حرف الإعراب، وبيان أسهل الطرائق في إعراب المضارع المؤكد بها، وإبراز العلائق بين نوع الحركة قبل نون التوكيد، ومقدارها، وبين سيميائية السياق القرآني الذي وردت فيه؛ أي بين الصائت ومكونات السياق، وتبين أنّ الصائت الواقع قبل نون التوكيد علامة لسانية، لها وظيفة في السياق اللغوي، تختلف من سياق إلى آخر، وفي كل سياق تتفاعل مع العلامات اللسانية التي يشملها السياق نفسه، فتصدر عنها دلالات تُفْصِحُ عن المعنى المراد عند المتلقي، وهذا ما يجعل لكل صائت قبل نون التوكيد سيميائية خاصة، تختلف من سياق إلى آخر، وتكون مناسبة للعلامات اللسانية التي صاحبتها في سياقها.

الكلمات المفتاحية: سيميائية ـ الصائت ـ نون التوكيد ـ المضارع المؤكَّد.

Abstract

Since the time of Sibawayh, early grammarians have differed in interpreting the change in the movement of letters occurring before the emphasizing nun (ن). Some modern scholars have attempted to analyse the syllabic construct of the nun of emphasis, and its effect on the present tense which it is used to confirm. Others rejected that analysis since earlier grammarians were aware of the effect of the emphasizing nun on the structure of the verb, as they were aware of other morphological suffixes that are attached to the structures of nouns and verbs in Arabic; Therefore, one of the objectives of this research was to present the efforts of grammarians in analyzing the effect of the emphasizing nun on the syntax letter, and to clarify the easiest ways in expressing the present tense confirmed by it, and to highlight the relationships between the type of movement before the nun of emphasis, and its quantity, and the semiotics of the Qur'anic context in which it was presented; i.e. between the phoneme and the context components. It appears that the phoneme before the emphatic nun is a linguistic marker; it has a function in the linguistic context, which varies from context to context. In each context, it interacts with the linguistic markers covered by the same context, producing connotations that reveal the intended meaning for the recipient. This is what makes each of the phonemes before the nun a special semiotic which varies from context to context and is appropriate for the linguistic markings that accompanied them in context.

Keywords: semiotics - phoneme- emphasizing nun- confirmed present tense.

1. المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ وبعدُ...؛ فإنّه من فضل الله، ومنّه عليَّ أن هداني لدراسة بعض قواعد لغة القرآن الكريم، الذي أعجز بيانُه أمةَ العرب؛ فلم تستطع مجاراة ألفاظه وأسلوبه؛ فضلا عن مضمونه؛ لأنه تنزيل من حكيم عليم. وَصَفَهُ أحد سادة قريش، وأشدهم كفرا وعداوة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو الوليد بن المغيرة، وكان من أفْصَح العربِ قولا وشعرا؛ فقال: "والله لقد سمعت منه [من محمد صلى الله عليه وسلم] كلاما، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوةً، وإنّ عليه لطلاوةً، وإنّ أعلاه لَمُثْمِر، وإنّ أسفله لَمُغْدِقٌ، وإنَّه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر." (القرطبي، 1967، 19 / 74) فالقرآن الكريم معجِزٌ في مبناه ومعناه، وإعجازه متجدِّد، ولا يخلق من كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، وهو مصدر أساس لدراسة قواعد اللغة العربية الشريفة، منذ بداية التأليف في اللغة والنحو، ولا يمكن وضع حدّ لدراسة لفظه، ومعناه، وأسلوبه؛ فالقراءة المتأملة للغة القرآن الكريم تسفر عن أن الدراسات اللغوية في القرآن الكريم معينٌ لا ينضب.

ومن قواعد اللغة العربية قاعدة إلحاق نون التوكيد بالفعل المستقبل؛ فهي حرف من حروف المعاني، وهي لاحقة صرفية تلحق الفعل، ولها تأثيران عليه؛ تأثير لفظي، يتمثل في تغير حركة آخر الفعل، وهو الصائت القصير، وتأثير معنوي، يتمثل في إخلاص الفعل للاستقبال، وتوكيده؛ أي تقوية الفعل في زمن المستقبل.

وقد عُني النحويون بدراسة أثر إلحاق نون التوكيد بالفعل، وفسروا ذلك الأثر بالبناء تارة، وبالحذف تارة أخرى، معتمدين في تفسيرهم على السياق.

2. مشكلة البحث:

المشكلة التي يطرحها البحث الموسوم بسيميائية الصائت قبل نون التوكيد تتلخص في دراسة اختلاف النحويين في تعليل حركة الحرف الواقع قبل نون التوكيد، وربط نوع الحركة، ومقدارها بدلالة السياق القرآني.

3. تساؤلات البحث:

1. هل كانت سيميائية الصائت قبل نون التوكيد سببا في اختلاف النحويين في تعليلاتهم للتغيرات التي تحدثها نون التوكيد عندما تلحق بالفعل؟
2. هل سار النحويون بعد سيبويه على نفس نهجه في تحليل التغيرات الناتجة عن إلحاق نون التوكيد بالفعل؟
3. هل اعتمد النحويون في تعليل نوع الصائت قبل نون التوكيد على دلالة السياق؟

* للمراسلات إلى: نجاة سعد محمد البكوش
البريد الإلكتروني:
ssaaddnnaajjtt@gmail.com

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 1637-2790، الورقي: 1629-2790. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية

4. الأهداف:

1. بيان أوجه الاختلاف بين النحويين في حركة الحرف الواقع قبل نون التوكيد.
2. إبراز العلاقة بين الصائت الواقع قبل نون التوكيد ومكوّنات السياق.
3. تحديد أسهل الطرائق في إعراب الفعل الذي لحقت به نون التوكيد.

5. مصطلحات البحث:

1. السيميائية: علم يهتم بدراسة أنظمة العلامات اللسانية وغير اللسانية، ودلالة المصطلح في هذا البحث تتمثل في دراسة العلامة اللسانية، و"تبحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف، ولغة الشكل والبنى الدالة...هي دراسة لأشكال المضامين." (حمداوي، الاقتباس 24 / 3 / 2021، ص 4)
2. الصائت: هو الحرف الهوائي المجهور، يحدث من دون تضييق في مجرى الهواء، ويصدق مصطلح الصائت على ما سمَّاه النحويون بالحركات (الفتحة والضمة والكسرة)، وبحروف المد واللين (الألف والواو والياء). (السعران، ص: 148، 149) وهذه الأخيرة تسمّى حركات طويلة، تقابلها الحركات القصيرة، وهي الفتحة والضمة والكسرة.
3. سيميائية الصائت: تحليل دلالات الصائت من خلال علاقته بالعلامات اللسانية الواردة في السياق، وفي هذا البحث تنحصر دلالة مصطلح سيميائية الصائت في تحليل دلالات الصائت الواقع قبل نون التوكيد بوصفه علامة تحمل معنى مع ما يصاحبها من استكشاف العلاقات الدلالية للمضمون.
4. العلامة اللسانية: عنصر لساني مركب من وجهين: دال ومدلول، يستحيل الفصل بينهما. (حساني، 2013، ص 36)
5. نون التوكيد: نون شديدة أو خفيفة، وهي علامة تحمل معنى، تُلْحَقُ بالفعلين المضارع والأمر.

6. هيكل البحث:

المقدمة، ثم المبحث الأول، بعنوان: نون التوكيد في الدرس النحوي، ويأتي بعده المبحث الثاني، الذي يحمل عنوان: أحوال الصائت قبل نون التوكيد، ويليه المبحث الثالث وعنوانه: علاقة الصائت قبل نون التوكيد بسيميائية السياق في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية على آيات قرآنية، أما الخاتمة فستُضَمَّن أبرز النتائج.

المبحث الأول: نون التوكيد في الدرس النحوي

نون التوكيد لاحقة صرفية تخصُّ الفعل المستقبل في العربية، ولا تُعرَف في أيَّة لغة من اللغات السامية الموجودة، وإن عُرِفَ في بعضها أنماطٌ أخرى للتوكيد. (شاهين، 1980، ص 96) وهي نونان؛ ثقيلة نحو قوله تعالى ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ (يوسف، 32) وخفيفة نحو قوله تعالى ﴿ولَيَكُونَنْ من الصاغرين﴾ (يوسف، 32) وهي علامة لسانية تُسهم في دلالات أشكال المضامين، ووصفها النحويون في كتبهم، ووضعوا معايير لاستعمالها.

المطلب الأول: نون التوكيد الثقيلة

نون التوكيد الثقيلة حرف مبني على الفتح، يلحق الفعلين: الأمر، والمضارع؛ ولا فرق بين الثقيلة والخفيفة؛ في أنّ كلتيهما تحيل زمن الفعل إلى الاستقبال؛ فيمتنع توكيدها الفعل الماضي، ويجوز في الأمر من دون شروط؛ لأن الأمر للاستقبال. قال سيبويه: "النون لا تدخل على فعل قد وقع، إنما تدخل على غير الواجب؛" (سيبويه، 1973، 3/ 105) لذلك اشْتُرِطَ لوجوب توكيد المضارع بالنون أن يكون مثبتا، فلا يؤكَّد بالنون إذا سبق بنفي، مثل: والله لا أفعل، وأن يكون دالا على الاستقبال، فلا يؤكد ما دل على الحاضر، مثل: والله لأفعل الآن، وأن يكون جوابا لقسم غير مفصول عن لام القسم بفاصل؛ فلا يؤكد في نحو: والله لقد أفعل. قال سيبويه: "اعلم أن القسم توكيدٌ لكلامك فإذا حلفت على فعلٍ غير منفي لم يقع لزمته اللام ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة وذلك قولك والله لأفعلن."(سيبويه، 1973، 3/ 104) وهذا معناه وجوب توكيد المضارع بالنون إذا كان مثبتا، ودالا على الاستقبال، وجوابا لقسم غير مفصول عن لام القسم بفاصل. ويستحسن توكيد المضارع في النهي، والأمر؛ لأنهما غير واجبين؛ وحُمِل النهي على الأمر؛ "لأنّ الناهي طالبٌ، كما أنّ الآمر كذلك؛"(ابن عصفور، 1998، 3/ 85) ومثال سيبويه: "ذلك قولك: لا تَفْعَلَنّ ذاك، واضْرِبَنَّ زيدًا."(سيبويه، 1973، 3/ 509) وشاهده من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ولا تَقُولَنَّ لشيءٍ إنّي فَاعِلٌ ذلك غَدًا﴾ (الكهف، 18) وفي قوله تعالى ﴿لَعَنَهُ اللهُ وقالَ لأَتَّخِذَنَّ من عبادك نصيبا مفروضا ولأُضِلَّنَّهم ولأُمَنِّيَنَّهم ولآمرنّهم فَلَيُبَتِّكُنّ آذان الأنعام ولآمُرَنَّهم فليُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله﴾(النساء، 119) كما يستحسن التوكيد بالنون إذا وقع المضارع فعل الشرط، وأداة الشرط (إن) وبعدها (ما) الزائدة؛ "لأنها تكون كاللام التي تلحق في القسم في قولك: لأفعلنّ،"(المبرد، 3/ 13) ومنه ما جاء في قوله تعالى ﴿وقَضَى ربُّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ وبالوالدين إحسانا إمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (الإسراء، 23) فالفعل يبلغ فعل الشرط؛ لحقته نون التوكيد، وسبقته إن الشرطية وما الزائدة، وحُمِل الشرط على الأمر؛ فكلاهما لا يحتمل الصدق والكذب.(ابن عصفور، 3/ 85) ومما جاء في تعليل إلحاق نون التوكيد بالفعل المستقبل أنّها "لو دخلت على الماضي لناقض معناه؛ لأنّ المراد بها تأكيد المستقبل، والماضي لا يصح ذلك فيه،"(ابن عصفور، 3/ 84) وفي تعليل الأمر أنه "مستقبل؛ لأنك طالب إيقاع الفعل،"(ابن عصفور، 3/ 84) وحُمِل الاستفهام والدعاء والعرض والتحضيض والتمني على الأمر، لأن انتفاء الصدق أو الكذب قاسم مشترك بين الأساليب الطلبية. ومجمل القول في قياس الفعل المضارع الذي تلحقه نون التوكيد جعله ابن هشام في خمس حالات:

1. إلحاق نون التوكيد بالمضارع واجبٌ، إذا كان المضارع مثبتا، مستقبلا، جوابا لقسم، غير مفصول من لامه بفاصل.
2. إلحاق نون التوكيد بالمضارع مُسْتَحْسَنٌ، وقد عبّر ابن هشام عنه بلفظ (قريب من الواجب)، إذا كان المضارع فعل شرط، وأداة الشرط (إن) ومعها (ما) الزائدة.
3. إلحاق نون التوكيد بالمضارع كثيرٌ، إذا وقع المضارع في سياق طلب حقيقي، وهو الأمر، والنهي، والدعاء، والعرض، والتحضيض، والتمني، والاستفهام.
4. إلحاق نون التوكيد بالمضارع قليلٌ، إذا وقع المضارع بعد (لا) النافية أو (ما) الزائدة من دون إن الشرطية.
5. إلحاق نون التوكيد بالمضارع أقلّ من القليل، إذا جاء المضارع بعد حرف الجزم (لم)، وبعد أداة شرط غير (إن).

واستشهد ابن هشام لكل حالة بشواهد مختلفة من القرآن والشعر. (ابن هشام، 1996، 3/ 82 – 87)

المطلب الثاني: نون التوكيد الخفيفة

معلوم أنَّ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والنون الثقيلة أشد توكيدا من الخفيفة، (سيبويه، 1973، 3/ 509) وما تؤكده الثقيلة، يمكن أن تؤكده الخفيفة؛ قال سيبويه: "اعلم أنّ كلّ شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة، كما أن كلّ شيء تدخله الثقيلة قد تدخله الخفيفة."(سيبويه، 1973، 3/ 508) غير أنّ الخفيفة انفردت بأحكام تخصها، وهي:

1. الحذف إذا جاء بعدها ساكن؛ "وذلك قولك: اضربَ ابْنَ زيد، وأنت تريد الخفيفة."(سيبويه، 1973، 3/ 505) واستشهد النحويون بقول الشاعر:

لا تُهينَ الفقيرَ علك أنْ تركعَ يوما والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 1637-2790، الورقي: 1629-2790. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية

أصله: لا تُهينَنْ.(ابن هشام، 1996، 3/ 90) والفعل تهينَ مفتوح النون، وهذه الفتحة حركة بناء؛ لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة المحذوفة. ويمتنع أن يكون الفعل معربا؛ لوجود الياء قبل النون؛ والإعراب يلزم تسكين النون للجازم، وحذف الياء؛ لالتقاء الساكنين (لاتُهنْ).

2. امتناع توكيد الفعل المسند إلى ألف الاثنين؛ وذلك لأنّ الألف ساكنة، والنون الخفيفة ساكنة، ولا يجتمع ساكنان؛ فامتنع نحو: هل تضربانْ، وقوما، واقعدا. (ابن عصفور، 1972، 2/ 75 –76)

3. امتناع توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة بالخفيفة؛ أما توكيده بالثقيلة فجائز بشرط زيادة ألف تفصل بين النونين؛ نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة، نحو: اضربْنَانِّ. ولا يجوز التأكيد بالخفيفة؛ لأنها لا تقع بعد الألف الساكنة؛ فلا يقال: اضْرِبْنَانْ. (ابن هشام، 1996، 3/ 90)

4. إعطاء النون الخفيفة حكم التنوين في الوقف إن وقعت بعد فتحة، (المبرد، 3/ 17)، (ابن هشام، 1996، 3/ 90) أي أن الفعل مسند إلى غير واو الجماعة أو ألف الاثنين أو ياء المخاطبة. والشاهد على هذا الحكم الوقف بالألف في قوله تعالى :لنسفعا﴾ (العلق، 15)، وقوله: ﴿ وليكونا﴾ (يوسف، 32) وعلل سيبويه هذا الحكم بأنّ نون التوكيد الخفيفة والتنوين يشتركان مخرج الصوت، وكلاهما لاحقة صرفية ساكنة، الأولى أفادت دلالة التوكيد، والثانية أفادت دلالة التمكن.(سيبويه، 1973، 3/ 521)

5. إثبات النون الخفيفة في الوصل، وحذفها في الوقف إن وقعت بعد ضمة أو كسرة، أي أن الفعل مسند إلى واو الجماعة، أو ياء المخاطبة؛ فيقال في الوصل: ياقوم، اضربُنْ. وياهند اضربِنْ، بإثبات النون الخفيفة. ويقال في الوقف: ياقوم، اضربوا، ياهند اضربي، بحذف النون الخفيفة؛ لأنها تشبه التنوين، وإرجاع ضمير الرفع؛ الواو أو الياء، لزوال التقاء الساكنين. (سيبويه، 1973، 3/ 521 – 522)، (ابن هشام، 1996، 3/ 91) كذلك في المضارع، "تقول: والله لتضربُنْ زيدا فإن وقفت، قلت: لتضربون، وتقول: هل تضربِنْ زيدا يا امرأة، فإن وقفت، قلت: هل تضربين."(المبرد، 3/ 18)

المطلب الثالث: الفرق الدلالي بين النونين: الثقيلة والخفيفة

فرّق علماء العربية بين دلالتي الثقيلة والخفيفة؛ إذ نقل سيبويه زَعْمَ الخليل؛ فقال: "إذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكِّدٌ، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدُّ توكيدا،(سيبويه، 1973، 3/ 509) والتوكيد بالنون الخفيفة لم يأتِ في القرآن الكريم إلا في موضعين،(عضيمة، 2004، 3/ 389) الأول من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف، 32) حيث يتضح الفرق بين دلالتي نوني التوكيد في الفعلين (ليسجنَنّ، وليكونَنْ) من السياق القرآني على لسان امرأة العزيز؛ فقد كان في استطاعتها سجن يوسف، عليه السلام، لذلك جاء التوكيد بالثقيلة، أما جَعْلُه، عليه السلام، من الصاغرين، فهذا أمر فوق استطاعتها، بدليل رفعة مكانة يوسف، عليه السلام، في السجن.

أقول: امرأة العزيز أشد تأكيدا في قولها: ليسجنَنّ، وأقل تأكيدا في قولها: ليكونَنْ؛ فهي تدرك مدى سلطتها وقدرتها على تنفيذ ما تقول، عندما هددت بسجنه، ولكنها لا تعلم أنَّ شأن يوسف، عليه السلام، سيرتفع بعد دخوله السجن؛ حيث ظهرت عليه ملامح النبوة؛ ودعا إلى عبادة الله الواحد القهار، وفسّر رؤيا ساقي الملك، الذي ذكره عند ملك مصر. وبهذا ناسبت نونُ التوكيدِ الخفيفةِ التهديدَ بإذلال يوسف، عليه السلام.

والآخر في سورة العلق، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ﴾ (العلق، 15، 16) والنون الخفيفة في هذا الموضع جاءت مناسبة للسياق الذي وردت فيه؛ فالسفع: "الأخذ بسَفْعة الفرس، أي سواد ناصيته،"(الراغب الأصفهاني، 2003، س ف ع، ص 240) وهو مقدَّم رأسه، ليركبه،(ابن منظور، 1997، س ف ع، 6/ 282) وقيل: السفع الضرب واللطم على الوجه، فيُضرب الكافر عند الأخذ إلى النار في يوم القيامة،(القرطبي، 1967، 20/ 125) ولا يخفى ما فيه من الإذلال والإهانة، إذا تمكن أحدهم من ناصية الآخر؛ وقيل في المعنى: "لَنَجُرَنّ ناصيته إلى النار، يقال سفعتُ الشيء؛ إذا قبضتُ عليه، وجذبتُه جَذْبًا شديدًا."(الزجاج، 2004، 5/ 263)

أقول: إن الكافر، والعياذ بالله، في يوم القيامة يكون ذليلا مهانا، ضعيفا، كئيبا، أسود الوجه، لا تكاد تحمله قدماه، فيؤخذ بالنواصي والأقدام، ولا يقوى على ردة أي فعل. وهذا الوصف لا يناسبه في السياق التوكيدُ بالثقيلة، فجاءت الخفيفة مناسبة لحالة الوهن التي عليها الكافر يوم القيامة. والتوكيد بالنون الثقيلة ورد في مواضع كثيرة من القرآن، حُصِرَ عددُها في مائتين، وثلاثة وأربعين موضعا من القرآن الكريم. (الشريف، 1996، 3/ 1117 — 1122) وهي لتأكيد حدوث الفعل المضارع في المستقبل.

المبحث الثاني: أحوال الصائت قبل نون التوكيد

جاء في الدرس النحوي تقسيم الفعل ــ من حيث البناء والإعراب ــ قسمين:

1. المبني: يشمل الأمر والماضي، والمضارع الذي يُسند إلى نون النسوة، أو تتصل نون التوكيد اتصالا مباشرا.

2. المعرب: يشمل المضارع الذي لم تلحقه نون توكيد، ولم يسند إلى نون النسوة؛ وهو المرفوع والمجزوم والمنصوب. وفي نظم الألفية: (ابن مالك، 2005، ص 12)

وفِعْـلُ أمْـــــرٍ وَمُضِـــيٍّ بُنِـــيا وأعْرَبُـــوا مُضارعـا إنْ عُريا

من نون توكيـــدٍ مباشرٍ ومنْ نونِ إناثٍ كيَرُعْـنَ مَنْ فُتِنْ

فالفعل المضارع الذي تتصل به نون التوكيد اتصالا مباشرا فعل مبني، وإن لم يكن الاتصال مباشرا فهو معرب؛ وهنا تتنوع أحوال الصائت قبل نون التوكيد؛ فمرة يكون الصائت حركة قصيرة فتحا أو ضما أو كسرا، ومرة أخرى يكون الصائت حركة طويلة بالفتح، واختلفوا في تفسير هذا التنوّع؛ فربطوا بين نوع الصائت وسيميائية الإسناد، ووجدوا أن الصائت يتغير بتغير المسند إليه، فإن كان المسند إليه اسما ظاهرا، أو ضميرا مستترا وجوبا، فالصائتُ حركة قصيرة بالفتح، وإن كان المسند إليه واو الجماعة فالصائت حركة قصيرة بالضم، وإن كان المسند إليه ياء المخاطبة فالصائت حركة قصيرة بالكسر، ويكون الصائت قبل نون التوكيد حركة طويلة بالفتح إذا كان المسند إليه نون النسوة، أو ألف الاثنين.

المطلب الأول: أحوال الصائت قبل نون التوكيد عند سيبويه (180ه)

نون التوكيد لاحقة صرفية تترك أثرا في بنية الفعل المستقبل، ودلالته، وقد لاحظ الأسلاف ذلك الأثر، وفرّقوا بين دلالتي النون الثقيلة، والخفيفة، ووضعوا تحليلات لأحوال الصائت قبل نون التوكيد؛ فوضع سيبويه المعايير لحركة الحرف الواقع قبل نون التوكيد؛ وذلك في باب عنونه بـ **"هذا باب أحوال الحروف التي قبل النون الخفيفة والثقيلة."**(سيبويه، 1973، 3/ 518) وجعل للفعل المجزوم المسند إلى المفرد معيارا؛ فقال: "اعلم أن فعل الواحد إذا كان مجزوماً فلحقته الخفيفة والثقيلة حرّكتَ المجزوم، وهو الحرف الذي أسكنتَ للجزم؛ لأن الخفيفة ساكنة والثقيلة نونان الأولى منهما ساكنة، والحركة فتحةٌ، ولم يكسروا فيلتبس المذكر بالمؤنث، ولم يضموا فيلتبس الواحد بالجميع. وذلك قولك اعلمن ذلك وأكرمن زيدا وإما تكرمنه أكرمه."(سيبويه، 1973، 3/ 518 — 519) **وأول ما يلاحظ** في نص سيبويه أنه بدأ بالفعل الذي كان حرف الإعراب منه ساكنا، وهنا ينحصر الكلام في الفعلين؛ الأمر، والمضارع المسبوق بحرف جزم، ومثَّل لهما بـ (اعلمَن، وأكْرِمَنْ، وإما تُكْرِمَنْ). **وثاني ما يلاحظ** تعليل وجود الصائت القصير؛ حيث علّل سيبويه تحريك الحرف الساكن عندما تلحق نون التوكيد، بتجنب التقاء الساكنين. ولم يذكر سيبويه أنّ حركة الحرف قبل نون التوكيد حركة بناء. **وثالث ما يلاحظ** تعليل نوع الصائت القصير، وهو الفتح؛ وذلك حتى يتميز المسند إليه في النوع، والعدد؛ فيتميّز الفاعل المذكر عن الفاعل المؤنث، نحو: يا زيدُ إمّا تُكرمَنّ. وياهندُ إمّا تُكْرمِنّ. كما يتميز الفاعل المفرد عن الفاعل الجمع، يا زيدُ إمّا تُكرمَنّ. يارجالُ إمّا تُكرمُنّ. أما الفعل المضارع المرفوع المسند إلى المفرد؛ فلم يُعلِّل سيبويه وجود الصائت، وإنما علّل نوع الصائت القصير، فقال: "وإذا

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 1637-2790، الورقي: 1629-2790. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية

كان فعلُ الواحد مرفوعا، ثم لحقته النون صيِّرْتَ الحرف المرفوع مفتوحا؛ لئلا يلتبس الواحد بالجميع؛ وذلك قولك: هل تفعلَنْ ذاك، وهل تَخْرُجَنْ، يا زيد."(سيبويه، 1973، 3/ 519) وكأنه حمل الفعل المرفوع على المجزوم، والحركة عنده ليست حركة بناء، وإنما جاءت للتمييز بين الفعل المسند إلى الفاعل المفرد، وبين الفعل المسند إلى الجمع؛ فالفعل المسند إلى الفاعل المفرد، فعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والفعل المسند إلى ضمير واو الجماعة، بعد حذف نون الرفع، و واو الجماعة، ويبقى آخر الفعل مضموما للدلالة على المحذوف، وكأنها جزء من واو الجماعة. وأما تفسير سيبويه أحوال الصائت قبل نون التوكيد في الفعل المسند إلى ضمائر التثنية والجمع والمخاطبة فقد أشار إلى أنواع الصائت بعد حذف النون، فقال في الفعل مع ضمير التثنية: "وإذا كان فعل الاثنين مرفوعا، وأدخلت النون الثقيلة، حذفت نون الاثنين؛ لاجتماع النونات، ولم تحذف الألف لسكون النون؛ لأن الألف تكون قبل الساكن المدغم؛ ولو أذهبتها لم يعلم أنك تريد الاثنين، ولم تكن الخفيفة ههنا؛ لأنها ساكنة ليست مدغمة فلا تثبت مع الألف، ولا يجوز حذف الألف فيلتبس بالواحد."(سيبويه، 1973، 3/ 519) ويفهم من كلام سيبويه أن الصائت قبل نون التوكيد هنا صائت طويل بالفتح، وعلة بقائه دون حذف، التمييز بين الفعل المسند إلى المفرد، والفعل المسند إلى ضمير التثنية. مثال: يضربان، فعل مسند إلى ضمير التثنية، مرفوع بثبوت االنون، وعندما تلحق نون التوكيد تجتمع نونان، الأولى نون الرفع، والثانية نون التوكيد الثقيلة؛ (وهي الساكنة ثم المتحركة)؛ فتحذف النون الأولى، وهي نون الرفع. وكأن بقاء الصائت الطويل دليل على أن الفعل مرفوع بثبوت النون التي سقطت لاجتماع النونات. وقال في الفعل المسند إلى واو الجماعة: "إذا كان فعلُ الجميع مرفوعاً، ثم أدخلتَ فيه النون الخفيفة أو الثقيلة، حذفتَ نونَ الرفع وذلك قولك: لَتَفْعُلُنَّ ذاك، ولَتَذْهَبُنَّ؛ لأنَّه اجتمعت فيه ثلاث نونات، فحذفوها استثقالا."(سيبويه، 1973، 3/ 519) وهذا يعني أنّ الفعل مرفوع بثبوت النون، ولحقت به نون التوكيد؛ فحذفت علامة الرفع، والتقى ضمير الرفع الساكن(واو الجماعة) مع نون التوكيد الساكنة؛ فحذف الضمير، وبقي الصائت القصير قبله دليلا عليه، والأمر نفسه إذا كان الفعل مسندا إلى ياء المخاطبة ولحقت به نون التوكيد؛ ومثّل سيبويه لهذه القاعدة فقال: "وذلك قولك للمرأة: اضْرِبِنَّ زيدا، وأَكْرِمِنَّ عمرا؛ تَحذف الياء لما ذكرتُ لك، ولَتَضْـرِبِنَّ زيدا ولَتَكْـرِمِنَّ عمرا؛ لأنَّ نون الرفع تذهب فتبقى ياء كالياء التي في اضربي وأكرمي، ومن ذلك قولهم للجميع: اِضْرِبُنَّ زيدا وأَكْرِمُنَّ عمراً، ولَتَكْرِمُنَّ بشرا؛ لأنَّ نون الرفع تذهب فتبقى واوٌ كواو ضربوا وأكرموا."(سيبويه، 1973، 3/ 520) أي يلتقي ساكنان: الضمير، والنون الأولى من التوكيد؛ فيحذف الضمير (ياء المخاطبة)، وهو جزء من الصائت الطويل، ويبقى الصائت القصير (الكسرة حركة الحرف الذي قبل النون) دليلا على المحذوف. ووصف سيبويه الفعل المسند إلى نون النسوة وقد لحقت به نون التوكيد الثقيلة، فقال: "وإذا أدخلت الثقيلة في فعل جميع النساء، قلت: اضربْنَانِّ يانسوة، وهل تَضْرِبْنَانِّ، ولَتَضْرِبْنَانِّ، فإنما ألحقتَ هذه الألف كراهية النونات، فأرادوا أن يفصلوا لالتقائها." وعلَّل بقاء نون النسوة؛ فقال: "ولم يحذفوا نون النساء، كراهية أن يلتبس فعلُهن، وفعل الواحد."(سيبويه، 1973، 3/ 526) كما علَّل كسر النون الثقيلة هنا؛ بأنها جاءت بعد ألف زائدة، وحُمِلَ كسرها على كسر نون الفعل المضارع المسند إلى ألف الاثنين. (سيبويه، 1973، 3/ 527) أما الفعل المعتل الآخر فيختلف عن الفعل الصحيح، ويمكن تلخيص ما جاء فيه على النحو الآتي:

1. إذا كان المعتل الآخر مسندا إلى اسم ظاهر أو إلى الضمير المفرد المذكر، فإنه يأخذ حكم الصحيح، ويفتح آخره لمباشرته النون، مثل يخشَيَنّ، يمشيَنّ، يدعوَنّ. (سيبويه، 1973، 3/ 528)
2. إذا كان المعتل الآخر مسندا إلى واو الجماعة، وكانت لامه واوا أو ياء؛ فإنه تحذف لامه مع حذف واو الجماعة، ونون الرفع، ويُضم ما قبل النون، مثل: يدعُنَّ ويقضُنَّ.
3. إذا كان المعتل الآخر مسندا إلى واو الجماعة، وكانت لامه ألفا؛ فإنه تحذف لامه مع نون الرفع، وتُحرك واو الجماعة بالضم مباشرة لنون التوكيد، مثلك تبلوُنّ، يسعوُنّ.
4. إذا كان المعتل الآخر مسندا إلى ياء المخاطبة وكانت لامه واوا أو ياء، فإنه يأخذ حكم الصحيح، ويكسر ما قبل نون التوكيد، مثل: لتدعِنّ، ولتقضِنَّ.
5. إذا كان المعتل الآخر مسندا إلى ياء المخاطبة وكانت لامه ألفا؛ فإن ياء المخاطبة لا تحذف ويبقى ما قبلها مفتوحا، وتُحرَّك بالكسر، مثل: ترَينِّ، تسعَينَّ. (سيبويه، 1973، 3/ 520 ــ 521)

وينبغي التذكير بأنّ سيبويه ذكر بناء الفعل المضارع على السكون إذا اتصلت به نون النسوة؛ وذلك قياسا على بناء الفعل الماضي على السكون إذا اتصلت به تاء الفاعل ونون النسوة، وذلك عندما قال: "وإذا أردتَ جمعَ المؤنَّث في الفعل المضارع ألحقتَ للعلامة نونًا وكانت علامةَ الإضمار والجمع فيمن قال أكلوني البراغيث وأسكنتَ ما كان في الواحد حرفَ الإعراب كما فعلت ذلك في فَعَلَ حين قلت فَعَلْت وفَعَلْنَ فأسكنَ هذا ههنا، وبُنِيَ على هذه العلامة كما أُسكن فَعَلَ... وذلك قولك: هنَّ يَفْعَلْنَ ولن يفعَلْنَ."(سيبويه، 1966، 1/ 20) أي أنّ الفعل المضارع مبني على السكون العارض؛ لأسناده إلى ضمير الرفع المتحرك (نون النسوة) ، وأنَّ حركة فتح النون حركةُ بناء. قال سيبويه: "النون ههنا في يَفعَلْنَ بمنزلتها في فَعَلْنَ، وفُعل بلام يَفْعَلُ ما فُعل بلام فَعَلَ، لما ذكرتُ لك؛ ولأنّها قد تُبنَى مع ذلك على الفتحة في قولك هل تَفْعَلنّ."(سيبويه، 1966، 1/ 20) والمعنى عنده أنّ نون النسوة ضمير مبني على الفتح، وبناؤه على الفتح يشبه بناء نون التوكيد الثقيلة على الفتح، ولم يصرح ببناء المضارع على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد.

بعد هذا الاستطراد الضروري يصل البحث إلى القول بأنّ سيبويه عرض مواضع نوني التوكيد، ووصف أحوال الصوائت قبلها، وعلّلها، ولم يذكر أن الصائت القصير المفتوح قبل نون التوكيد، علامة بناء الفعل المضارع. ويترتب على ذلك أنّ المضارع المبني في العربية، عند سيبويه، هو ما أسند إلى نون النسوة فقط، أما المضارع الذي لحقت به نون التوكيد فهو فعل معرب.

المطلب الثاني: أحوال الصائت قبل نون التوكيد عند النحويين بعد سيبويه

أخذ النحويون بعد سيبويه تفسيره لأحوال الصائت قبل نوني التوكيد، واختلفوا في عرضها، ومنهم (المبرد 285ه) الذي صرَّحَ ببناء الفعل المضارع على الفتح، إذا اتصلت به نونا التوكيد، عندما قال: "اعلم أنَّ الأفعال ـ مرفوعةً كانت أو منصوبةً أو مجزومة فإنها تُبنى مع دخول النون على الفتحة؛ وذلك أنها والنونَ كشيء واحد، فبنيت مع النون بناءَ خمسةَ عشرَ."(المبرد، 3/ 19) وذكر علتين للحركة قبل نون التوكيد؛ إحداهما: إذا لم يتحرك الحرف الواقع قبل نون التوكيد، اجتمع ساكنان؛ لأنّ الخفيفة ساكنة، والأولى من نوني الثقيلة ساكنة. والعلة الأخرى: تحريك الحرف الواقع قبل نون التوكيد بجعله مع النون شيئا واحدا؛ نحو: بَيْتَ بَيْتَ، وخمسةَ عشرَ. كما علل اختيار حركة الفتح؛ لأنها أخف الحركات. (المبردن 3/ 19) ويقابل البناءَ على الفتح ـــ عنده ـــ حذفُ النون في الأفعال الخمسة، إذا لحقت بها نون التوكيد، أي أن الفعل في نحو: لَتَضْرِبُنَّ يارجال، فعلٌ مبني على حذف النون. وهذا يُفهم من قوله: "إذا ثنّيت أو جمعت، أو خاطبت مؤنثا، فإنَّ نظير الفتح في الواحد حذفُ النون مما ذكرت لك. تقول للمرأة: هل تضربنّ زيدا؟ ولا تضربنَّ عمرا؛ فتكون النون محذوفة التي كانت في تضربينَ؛ ألا ترى أنك إذا قلت: لن تضربَ يافتى، قلت للمرأة إذا خاطبتها: لن تضربي، وكذلك لن تضربا، ولن تضربوا للاثنين والجماعة؛ فحذف النون نظير الفتحة في الواحد."(المبرد، 3/ 20 ـــ 22)

وغنيٌّ عن التوضيح ـــ في نص المبرد هذا ـــ أنه يقيس حذف النون في الأفعال الخمسة عندما تلحقها نون التوكيد، على حذف النون منها إذا سبقها عامل نصب. ويمكن أن يُقال هنا: إنّ في نصب الفعل المضارع علامتين، إحداهما أصلية، وهي الفتحة: (لن تضربَ)، وأخرى فرعية، وهي حذف النون (لن تضربوا)، وكذلك الشأن في بناء المضارع، فعلامة البناء الأصلية الفتحة (لتضربَنَّ يا فتى)، وعلامة البناء الفرعية حذف النون (لتضربُنّ يارجال). أما حذف ضمائر الرفع الساكنة، فسببُه التقاء الساكنين؛ في نحو:

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 1637-2790، الورقي: 1629-2790. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية

اضربِنَّ زيدا، حذفت الياء، ونحو: اضربُنَّ زيدا، وهل تخرجُنَّ إلى زيد، حذفت الواو.(المبرد، 3/ 22) أما ألف الاثنين فلا تحذف، لئلا يلتبس لفظ الفعل المسند إليها بلفظ الفعل المسند إلى الضمير المستتر وجوبا، نحو: اضربَانّ، واضربَنّ.(المبرد، 3/ 24)

ويصل البحث ـ في هذا المقام ـ إلى أنّ المبرد أضاف إلى تحليل الحركة العارضة، قبل نوني التوكيد، أمرين: أولهما: أنّ الفعل الذي لحقت به نون التوكيد مبني في كل أحواله. والأمر الآخر: أنّ لبناء المضارع المؤكّد علامتين، أصلية وهي الفتحة، وفرعية وهي حذف النون إذا كان الفاعلُ ضميرَ رفعٍ ساكنا.

وتبع المبردَ جمعٌ من النحويين في الحكم بالبناء على الفعل المضارع المؤكَّد بالنون؛ فهذا (ابن السراج 316 ه) يصنِّف الفعل الذي لحقت به نون التوكيد مع الأفعال المبنية، ويعرفه بقوله: "الفعل الذي أصله الإعراب؛ فإذا دخلت عليه النون الثقيلة والخفيفة بُنِيَ معها."(ابن السراج، 1996، 2/ 199) ويذكر أن حقّه البناء سواء أكان الفاعل مستترا أم لم يكن كذلك، وذكر علتين لحذف النون في نحو يفعلان إذا لحقت به نون التوكيد، الأولى: اجتماع النونات، والأخرى أن نون يفعلان علامة رفع، وإذا لحقت نون التوكيد بني الفعل معها، فلا حاجة إلى علامة الرفع.(ابن السراج، 1996، 2/ 201)

وهذا (الواسطي الضرير، من أعلام القرن الخامس الهجري) أكد بناء المضارع الذي لحقته نون التوكيد؛ فقال: "إنما يُبنى؛ لأنّ النونَ قد أحدثت فيه معنى، فصارتْ كبعض الفعل، وحَصَلَ آخرَ الفعلِ حشوٌ، والحشوُ لا يستحق إعرابا."(الواسطي، 2000، ص 239) ولم يفرّق في تأكيده هذا بين نوع الحركة قبل نون التوكيد، فكلّه مبني؛ ولم يُشِرْ إلى علامة البناء كما فعل المبرد؛ غير أنه علّل الصائتين: المضموم، والمكسور، الواقعين قبل النون، في نحو: يضربُنَّ، وتضربِنّ، بعد حذف ضمير الرفع لالتقاء الساكنين بأنهما دليلان على المحذوف.(الواسطي، 2000، 240)

ومما يقع في الحسبان أنّ النحويين لم يتفقوا على علامة بناء المضارع المؤكَّد بالنون، وكأنهم يريدون أن يكون الفعل مبنيا على الفتح الواقع على النون الثقيلة، أو على السكون الواقع على النون الخفيفة، أمّا آخرُ الفعل فقد صار حشوًا في وسط مركب يتكون من (الفعل + نون التوكيد)، والذي أوقعهم في هذا الخلاف تغيُّرُ أحوال الصائت قبل نون التوكيد؛ ولوضع معيار لضبه، انقسم الفعل المضارع المؤكّد بالنون ــ عند بعضهم ــ قسمين: مبني، وهو ما كان فاعله اسما ظاهرا، أو ضميرا مستترا، أو نون النسوة. والقسم الآخر، معرب، وهو ماكان فاعلُه واوَ الجماعة، أو ألفَ الاثنين، أو ياءَ المخاطبة؛ فعند ابن مالك (672 ه) المضارع المؤكَّد بالنون قسمان: معرب، ومبني، فالمعرب، هو الذي أسنِد إلى ضمائر الرفع الساكنة، والمبني هو الذي أسند إلى غير تلك الضمائر. وعلّلَ البناءَ بتركيب الفعل مع النون؛ فالفعلُ صدرُ المركَّبِ، والنونُ عَجُزُهُ، أما الفعل المؤكَّد المعرب، فينتفي فيه التركيب، لوجود الفاعل البارز بين الفعل ونون التوكيد.(ابن مالك، 1990، 1/ 36) وتناقل النحويون الخلاف عند هذه المسألة؛ فابن عصفور (669ه) يذكر اختلاف النحويين في الحركة التي قبل نون التوكيد؛ حيث يقول: "فمنهم من قال: إن الحركة حركة التقاء الساكنين، وكانت فتحة طلبا للتخفيف، لأن الحركة زيادة، والزيادة لا تدَّعى إلا بدليل."(ابن عصفور، 1998، 3/ 86) وهذا تفسير سيبويه، الذي لم يجعل الصائت قبل نون التوكيد علامة بناء، أوإعراب. ومنهم "من قال: إن الحركة حركة بناء؛ لأنه أشبه المركب، فكما أن المركب بُني على حركة، فكذلك ما أشبهه."(ابن عصفور، 1998، 3/ 86) وهذا تفسير المبرد؛ إذ يجعل الفعل ونون التوكيد مبنيان على فتح الجزأين، مثل: خمسة عشر. ورجَّح ابن عصفور البناء؛ لأنه يراه الوجه "الصحيح، بدليل أنَّ حركة التقاء الساكنين عارضة، والعارض لا يعتدّ به."(ابن عصفور، 1998، 3/ 86) أما الهرميُّ (702ه) فعنده المضارع المتصل بنون التوكيد، كلُّه مبنيّ، وحركة البناء واقعة على آخر الفعل، قال في المحرر: "والفعل المستقبل إذا كان معه نون التأكيد؛ فهو مبني غير معرب، مثل: يازيدون هل تضربُنَّ عمرا؟ هذا مبني على الضم، ويازيدان هل تضربَانِّ عمرا؟ هذا مبني على الفتح وياهند هل تضربِنَّ عمرا؟ هذا مبني على الكسر، ويازيد هل تضربَنَّ عمرا؟ فهذا مبني على الفتح، وكذلك إذا قلت: الهندات يضربْنّ، والزينبات يقمْنّ؛ فهذا الفعل مبني مع ضمير الجمع المؤنث."(الهرمي، 2005، 3/ 1149 ــ 1150) وهذا يعني أن الأفعال الخمسة لا تكون معربة إذا لحقت بها نون التوكيد، وإنما تبنى على الضم أو الفتح أو الكسر، وهذا يسيرٌ على الطلاب في تعليم قاعدة الفعل المضارع المؤكد بالنون.

أقول: يمكن توجيه إعراب المضارع المؤكد بالنون في مثل: (لتدخلَنّ يازيد، ولتدخلُنَّ يارجال) تبعا لتوجيهات النحويين على النحو الآتي:

1. على رأي سيبويه، ومن تبعه (تدخلَنّ، بفتح اللام): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وحرك بالفتح؛ لأمن اللبس بالفعل المسند إلى الجمع في نحو: لتدخلُنّ يارجال. وإعراب (تدخلُنّ، بضم اللام): فعل مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة، وحذفت واو الجماعة، لاجتماع الساكنين.
2. على رأي المبرد، ومن تبعه (تدخلَنّ، بفتح اللام) فعل مضارع مبني على الفتح، وإعراب (تدخلُنّ، بضم اللام): فعل مضارع مبني على حذف النون. وهذا أيسر الطرائق في تعليم الطلاب قاعدة المضارع المؤكد بالنون.
3. على رأي الواسطي الضرير: (تدخلَنَّ، بفتح اللام) فعل مضارع مبني على الفتح الواقع على نون التوكيد، وفاعله ضمير مستتر للمخاطب، وإعراب (تدخلُنَّ، بضم اللام): فعل مضارع مبني على الفتح الواقع على نون التوكيد، وفاعله ضمير الرفع واو الجماعة المحذوف. وفي هذا الوجه الإعرابي لا يعتدّ بآخر حرف في الفعل. ومثله واقع في أحد أوجه إعراب المركب المزجي، نحو حضرموت.
4. على رأي ابن مالك، ومن معه (تدخلَنّ، بفتح اللام): فعل مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد اتصالا مباشرا. وإعراب (تدخلُنَّ، بضم اللام): فعل مضارع معرب، مرفوع وعلامة رفعه النون المحذوفة، لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوف فاعل.

على رأي الهرمي (تدخلَنَّ، بفتح اللام) فعل مضارع مبني على الفتح، وإعراب (تدخلُنَّ، بضم اللام): فعل مضارع مبني على الضم. وإذا كان الفاعل ياء المخاطبة فهو مبني على الكسر.

المطلب الثالث: أحوال الصائت قبل نون التوكيد في الدراسات الحديثة

ذكر الدكتور **تمام حسّان** نون التوكيد في أثناء عرضه لموضوع الحذف، وبيَّنَ أن الحذف في الجملة العربية، لا ينبغي أن يفهم "على معنى أن عنصرا كان موجودا في الكلام، ثم حذف بعد وجوده؛ ولكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون الفارق بين مقررات النظام اللغوي، وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي."(حسان، 1998، ص 298) أي أنْ يكون الحذف علامة تُفرّق بين القواعد اللغوية التي يفرضها القياس، وبين ما يطلبه الاستعمال على ألسنة الناطقين باللغة. واستشهد على هذا الفهم باستعمال نون التوكيد لتوكيد المضارع المرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ فقال: "نظام اللغة مثلا يقرر أن المضارع المرفوع المسند إلى ألف الاثنين، أو واو الجماعة ينتهي بنون تسمى نون الرفع، ويقرر كذلك أن توكيد المضارع يجري بنون مشددة مركبة من عنصرين أولهما: نون ساكنة، وثانيهما نون متحركة، ولو أنَّ المضارع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة أكد بالنون الثقيلة لكان معنى ذلك أن النظام اللغوي قضى بتوالي ثلاث نونات."(حسان، 1998، ص 298) ويقرر أنّ توالي ثلاث نونات يصطدم بالذوق العربي؛ فيتدخَّل هذا الذوق الاستعمالي بحذف نون الرفع وترك نونين إحداهما ساكنة والأخرى متحركة تبدوان معًا في صورة وحدة صوتية واحدة مشددة.(حسان، 1998، ص 298) ويفهم من رأي الدكتور **حسّان** أنّ نون الرفع، في الفعل المسند إلى واو الجماعة والمؤكد بالنون، نحو: ينصرُنّ غير موجودة إلا في تصوّر النحويين. أما الدكتور **عبد الصبور شاهين** فقد كانت رؤيته لنون التوكيد مختلفة عن رؤية القدماء؛ إذ يرى أنّها تثير مشكلة في بنيتها، بوصفها أداة من أدوات العربية، فالقدماء كان اهتمامهم محصورا في تصريف الكلمة المكتوبة، ولم ينتبهوا إلى

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 2790-1637، الورقي: 2790-1629. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية

العمليات النطقية المتفاعلة التي يثيرها الدرس الصوتي، ووجد عذرا للقدماء في أنهم لم يلتفتوا لمشكلة بنية أداة التوكيد، لأنهم اهتموا بالشكل الكتابي، وأهملوا المنطوق. كما يرى أن العربية لم تعرف اسماً أو فعلاً أو حرفاً يتكون من (صامت + صامت+ حركة) وهو التركيب المقطعي للنون الثقيلة، وكذلك النون الخفيفة تتكون من (صامت).(شاهين، 1980، ص 98) ونون التوكيد، في تصوّر الدكتور **شاهين**، كلمة مستقلة، حُذِفَتْ منها همزة الوصل (a n n a)، وحذف همزة الوصل من (ا نْ نَ) قياس على فعل الأمر والمضارع ساكن الحرف الأول. وللتوضيح: ذهب: فعل متحرك الفاء والعين واللام، وعندما يدخل حرف المضارعة، تُسكّن الفاء، حتى لا تتوالى أربعة أحرف متحركة (يذْهبُ) وعند استعمال صيغة الأمر منه، تُحذف ياء المضارعة، وتبقى الذال ساكنة، فتأتي همزة الوصل للتمكن من النطق بالساكن في أول الكلمة، وإذا وقع الفعل (اذهب) في وسط الكلام؛ فتحذف نطقا وتبقى كتابة؛ لأن اللسان العربي لم يعد في حاجة إليها. وهذا التحليل فسّر به الدكتور **شاهين** بنية نون التوكيد، فإذا فُصِل بينها وبين الفعل (نحو: ينصر + نْ نَ) اتضح أنَّ نون التوكيد كلمة تبدأ بحرف ساكن، فتصوّر الدكتور شاهين أنّ أصلها ا نْ نَ، وهي أنّ الناسخة، إحدى أخوات إنّ، وفرّق بينهما بأنّ الناسخة همزتها همزة قطع، ونون التوكيد همزتها وصل، تحذف في وسط الكلام، ولهذا دائما محذوفة؛ إذ لا يبتدأ الكلام بنون توكيد. وهذا يعني أنّ حركة بناء الفعل المضارع هي حركة همزة الوصل التي حذفت في درج الكلام؛ ونون التوكيد عنده تتكون من مقطعين صوتيين:

- **الأول:** طويل مقفل (صامت + متحرك + صامت)

(صامت = همزة الوصل التي افترضها + متحرك = حركة همزة الوصل + صامت = ن)

وفي الاستعمال يسقط الصامت، وهو همزة الوصل وتبقى حركته، ليصير المقطع في الاستعمال: (متحرك + صامت)

- **الثاني:** قصير مفتوح (صامت + متحرك)

(صامت = ن + متحرك = حركة النون الفتح)

ويمكن إجمال القول في رأي الدكتور **شاهين** أنه يفترض وجود همزة وصل في بداية نون التوكيد، ويفترض حذفها، وبقاء حركتها، فالفعل المضارع المعرب المسند إلى اسم ظاهر أو إلى ضمير الواحد المذكر، أو ضمير الرفع نحن، إذا لحقت به نون التوكيد يفقد حركة إعرابه، ويحل محلها حركة همزة الوصل وهي الفتحة. أما إذا كان الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد مسندا إلى واو الجماعة فيرى أنّ نون الرفع حذفت لتوالي النونات (في نحو ينصرون + نّ = ينصرُنّ) والمسند إليه باقيا؛ فواو الجماعة لم يحذف كله، وإنما بقي نصفه في صورة ضمة، أي صائت قصير، وهو ركن الإسناد الذي لا يمكن حذفه من الجملة، والأمر نفسه يحدث مع ياء المخاطبة (في نحو: تنصرين + نّ = تنصرنّ) وكأنّ الضمير ياء المخاطبة، وهو الكسرة الطويلة، أُخْتُصِرَ إلى كسرة قصيرة، وهي ركن الإسناد.(شاهين، 1980، ص 98 ــ 102) وانتقد الدكتور **سعد عبد العزيز مصلوح** جعل نون التوكيد مشكلة لم يعرها القدماءُ اهتماما عند الدكتور **شاهين**، الذي يرى مجافاة نوني التوكيد لطريقة العربية في نسج مقاطعها، وذكر الدكتور **سعد مصلوح** أنّ العربية فيها عشرات اللواحق تشبه نون التوكيد في نسيج مقطعها، إذ لا تكون إلا متصلةً بغيرها، مثل: واو الجماعة، وألف الاثنين، وياء المخاطبة، وياء المتكلم، وعلامات الجمع والتثنية، والألف المقصورة والممدودة وعلامات الإعراب. وبهذا لا يمكن أن تكون نون التوكيد مشكلة في العربية. (مصلوح، 121 ــ 125) أما ما ذكره الدكتور **شاهين** من أنّ القدماء لم يلتفتوا لنون التوكيد، فهذا فيه غضٌّ من جهود الأسلاف، التي عرض البحث بعضها. ولعل الدكتور **فاضل السامرائي** تأثّر بما افترضه الدكتور **شاهين** في أصل نون التوكيد، فقد ربط بين (نون التوكيد الثقيلة)، و(أنّ إحدى أخوات إنّ)، وقال: "يبدو أنّ النون حرف يؤكد الأسماء والأفعال، غير أنّها تدخل في أول الاسم ، وآخر الفعل، فـ (أنّ) هي نون ثقيلة مسبوقة بالهمزة، ولما كانت تدخل في أول الاسم، بُدِئَتْ بهمزة توصلاً إلى النطق بالساكن، وجعلت الهمزة من بناء الكلمة."(السامرائي، 1990، 4/ 149) وذكر أوجه التشابه بين نون التوكيد وأنّ الناسخة؛ فقال: "هناك تشابه بين أنّ والنون؛ فكلتاهما حرف توكيد، غير أنّ إحداهما تؤكد الأسماء، والأخرى تؤكد الأفعال، وكلتاهما تُدخِلُ الفتح على ما دخلت عليه، فـ (أنّ) تدخل على الأسماء وتنصبها، والنون تدخل على الفعل وتبنيه على الفتح. تقول: (أنّ محمدا ليسافرَنّ). وكلتاهما يجاب بها القسم في الإثبات، تقل: (والله لأذهبنّ)، و (والله إني لمعكم).(السامرائي، 1990، 4/ 149) أما الدكتور **مهدي المخزومي** فشبه فتح آخر الفعل المضارع الذي لحقته نون التوكيد، وكان اتصالها به مباشرا، بفتح الاسم الذي ينتهي بهاء التأنيث نحو: رحمة، وبفتح الفعل الذي لحقت به تاء التأنيث نحو: ذهبت، وذلك عندما وصف نون التوكيد؛ فقال: "هي أداة توكيد مختصة بيَفْعَل وافْعَلْ غالبا، وبفاعل نادرا، وتتصل به من آخره، فيفتح آخره باتصالها المباشر به، كما يفتح آخر الاسم إذا لزمته هاء التأنيث، وكما يفتح آخر فعل إذا اتصلت به تاء التأنيث: بدأت سنة جديدة."(المخزومي، 1986، ص 238) ويفهم من توجيه الدكتور **المخزومي** أن نون التوكيد لاحقة تختص بتوكيد الفعل المستقبل، وتشبه اللواحق الصرفية الأخرى التي يلتزم آخر الفعل معها بالفتح، ولم يذكر اتصالها غير المباشر بالفعل. **وخلاصة القول**: إنّ الاختلاف في تحليل نوع الصائت في آخر الفعل الذي لحقت به نون التوكيد، موجود بين النحويين قديما وحديثا، وإنّ نظام العربية فيه لواحق صرفية، لا تؤدي وظيفتها إلا باتصالها بغيرها، ولها أثر في بنيته، ودلالته، ودلالة السياق الذي ترد فيه.

المبحث الثالث: علاقة الصائت قبل نون التوكيد بسيميائية السياق في القرآن الكريم

دراسة تطبيقية على آيات قرآنية

علاقة الصائت الواقع قبل نون التوكيد بسيميائية السياق في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية على آيات قرآنية

تُعَدُ نون التوكيد إحدى العلامات اللسانية التي تتعدد وظائفها في السياق، فهي لاحقة صرفية تُسهم في إحداث تغيرات في بنية الفعل، بين حذف، وتغيير حركة الحرف الذي قبلها، كما لها وظيفة نحوية في بناء الفعل وإعرابه، فالفعل المضارع يكون مرفوعا أو منصوبا أو مجزوما، وإذا لحقت نون التوكيد لزم آخره حركة واحدة. أما وظيفتها الدلالية فلم يغفل عنها علماء العربية منذ الخليل، الذي فرق بين دلالتي الثقيلة والخفيفة. ولما كان لكل علامة لسانية وظيفة في السياق اللغوي؛ فإن الصائت قبل نون التوكيد علامة لسانية تُسهم في تكوين سيميائية النص؛ وذلك بتفاعلها مع العلامات اللسانية التي يشملها السياق نفسه، فتصدر عنها دلالات تُفْصِحُ عن المعنى المراد عند المتلقي، وهذا ما يجعل لكل صائت قبل نون التوكيد سيميائية خاصة، تختلف من سياق إلى آخر، وتكون مناسبة للعلامات اللسانية التي صاحبتها في سياقها.

المطلب الأول: سيميائية الصائت بالفتح

مَعْلُومٌ أنَّ الصائت بالفتح ينتج عن اندفاع الهواء من الرئتين، مارًّا بالحنجرة، ثم تجويف الفم، إلى أن يخرج من الشفتين اللتين تتخذان وضع الانبساط، من دون أن يعترضه أيُّ حاجز في أثناء مروره. وهذا الصائت لا يحمل سيميائيةً في ذاته؛ ولكنه في سياق النص يتضافر مع سيميائيات العلامات اللسانية الأخرى، التي يشملها سياق النص، فينتج عنها المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي؛ فعلى سبيل المثال، لا الحصر، يمكن ملاحظة سيميائية الصائت بالفتح قبل نون التوكيد في قصة إخراج آدم وزوجه من الجنة، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة، 34 ــ 38) ففي قوله تعالى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ الفعل (يأتي) لحقت به نون التوكيد، فتحرك لام الفعل بالفتح، ونشأ صائت قصير، و(إما) تتكون من إن حرف شرط جازم، لزمته ما، "ومعنى لزومها إياها

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 2790-1637، الورقي: 2790-1629. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية

معنى التوكيد، وكذلك معنى دخول النون في الشرط التوكيد، والأبلغ فيما يؤمر به العباد التوكيد عليهم فيه، وفُتِحَ ماقبل النون في قوله (ليأتينكم) لسكون الياء وسكون النون الأولى."(الزجاج، 2004، 1/ 108 — 109) ومما يقع في الحسبان أنَّ نون التوكيد بوصفها علامة لسانية، لم تكن مصدرا لدلالة التوكيد بمفردها، ولكن اتساقها مع العلامات الأخرى عزّز من معنى التوكيد في سياق الآيات التي تضمنت قصة سبب خروج آدم من الجنة. ومجمل المعنى أن الله، سبحانه وتعالى، يخبر عن قصة سكن آدم وزوجه الجنة، ثم خروجهما منها، وهبوطهما إلى الأرض، بعد أن تاب الله عليهما، ثم يأتي الشرط المؤكّد حدوثه بأن الله سيهديهم، ولهم حرية الاختيار بين اتباع الحق، أو الكفر والتكذيب بآيات الله. ويمكن أن يكون عنوان هذه القصة: **إخراج آدم وزوجه من الجنة**. وحري بالتأمل في الآيات التي تضمنت هذه القصة؛ ليصل المتأمل إلى أنَّ الصوائت المفتوحة تتوالى بكثرة؛ حيث يصل عددها إلى مئة وخمسة وعشرين صائتا، تنقسم بين ثمانية وثمانين صائتا قصيرا، وسبعة وثلاثين صائتا طويلا. أما الصوائت المضمومة فعددها سبعة وثلاثون صائتا، تنقسم بين تسعة وعشرين صائتا قصيرا، وثمانية صوائت طويلة. والصوائت المكسورة عددها اثنان وأربعون صائتا، تنقسم بين أربعة وثلاثين صائتا قصيرا، وثمانية صوائت طويلة.

أقول: إنّ تضافر الصائت بالفتح قبل نون التوكيد، مع الصوائت المفتوحة التي تضمنها سياق القصة، يُحدث انسجاما بين شكل العلامات اللسانية، والمضمون العام في السياق، ذلك الانسجام يتمثل في مناسبة كثرة الصوائت المفتوحة دلالةَ حرية الاختيار التي منحها الله خَـلْـقَـهُ؛ حيث الهداية آتية منه، سبحانه وتعالى، والمجال مفتوح أمام الإنسان، وهو يختار، إما اتباع هداه، جلّ في علاه، أو الكفر والعياذ بالله؛ فاندفاع الهواء في مجراه دون عائق، والشفتان مبسوطتان، ينسجم مع حرية اختيار الإنسان لهداية الله، هذه الهداية التي عبر عنها السياق القرآني في أسلوب تأكيد، في الفعل (يأتي) لحقت به نون التوكيد، بعد ثلاثة أوامر: الأول: الأمر بالسكن في الجنة، والثاني: بالهبوط إلى الأرض، والثالث بتأكيد الهبوط، ثم جاء الشرط بالحرف (إن) بعد (ما) وهي حرف للتوكيد، وبعده الفعل المضارع، الذي يدل على تجدد الحدث في المستقبل، مؤكّدا بالنون (يأتينّ)، وفاعله اسم ظاهر نكرةٌ دالةٌ على العموم (هدى)، وفُصِلَ بينه وبين فعله بالجار والمجرور (مني) وهذا الفصل يحمل دلالة الحصر، فمصدر الهُدى الله، جل في علاه. والخَلْقُ مُنْقَسِمٌ بين من يتبع هدى الله، وبين من يضل عنه، وجواب الشرط جملة شرط أخرى (فمن تبع هداي فلا خوف) فعل الشرط (تبع)، وجوابه جملة اسمية (فلا خوف عليهم) ولا يخفى عن المتأمّل في السياق القرآني دلالة الجملة الاسمية على الثبوت، والاستمرار. واتباع الهدى متكرر، ومتجدّد من الْخَلْقِ، وجزاؤه ثابت لا يتغير عند رب العالمين، (فَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ) وهنا نفي الخوف عليهم، ونفي تجدّد الحزن عندهم، حيث جاء الحزن في لفظ فعل مضارع، لأنه يتجدد في النفس البشرية، فكان نفي تجدد الحزن أقوى من نفي الحزن ذاته. والفعل يأتي، يتضمن دلالة المجيء بسهولة،(الراغب الأصفهاني، 2003، أ ت ى، ص 18) فشاكَلَتْ دلالتُه سهولة النطق بالصائت المفتوح قبل نون التوكيد.

ومجمل القول: إنّ نون التوكيد في (يأتين) سبقها صائت قصير مفتوح، وفتح الصائت يناسب فتح باب الهداية أمام جميع الخلق، وقِصَرُهُ يناسب اقتصار الهداية على بعض الخَلْق، فبعضهم سيتبع هدى الله، وبعضهم الآخر يصدق عليهم حكم الله، سبحانه وتعالى، بأنهم أصحاب النار. ومما يلاحظ في سياق قصة **(إخراج آدم وزوجه من الجنة)** مناسبة الصوائت للمعاني المراد إيصالها للمتلقي، فعلى سبيل المثال ناسب الصائت بالفتح دلالة الحياة الكريمة ورغد العيش في الألفاظ: (رَغَدا ، تَقرَبَا ، الشَّجَرَةَ)، وناسب الصائت بالضم دلالة السكن والاستقرار في المكان الذي يلزم فيه تجمع المجتمع البشري، وانضمام أفراده، في الألفاظ: (اسكُن، زوجُك، اهبطُوا، مستقرٌ، متاعٌ) ، ودلالة انضمام الكفار في مكان واحد، وهو النار في الألفاظ: (كفرُو، كذبُوا، أُولئك، أصحابُ، هُم، خالدُون). كما ناسب الصائت بالكسر الحالة النفسية لمرجع الضمير في الألفاظ: (كانا فِيهِ، لبعض، عليه، الظالمِين، الأرضِ، إلى حِين، كلماتٍ) فقد كان آدم وزوجه، عليهما السلام، في حالة ذلّ وانكسار لوقعهما في المعصية.

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة جاء فيها الصائت القصير المفتوح قبل نون التوكيد، وفيها انسجام بينه، وبين دلالة مضمون السياق. أما الصائت الطويل المفتوح قبل نون التوكيد فلم يأتِ إلا في موضع واحد في الفعل (تتبعانّ).(الشريف، 1996، 3/ 1116 — 1122) من قوله تعالى: ﴿قال قد أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فاسْتَقِيمَا ولا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الذين لا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس، 89) وغنيٌّ عن البيان أنّ هذه الآية جاءت في سياق الإخبار عن دعوة موسى وأخيه، عليهما السلام، لبني إسرائيل بأن يقيموا الصلاة، ويتخذوا من بيوتهم مكانا للعبادة، أما فرعون ومَلَؤه، فقد يئس موسى، عليه السلام من استجابتهم لدعواه، فدعا عليهم، وأمَّن أخوه، عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعذابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس، 88) واستجاب الله لدعائهما، وأمرهما بالاستقامة، ونهاهما عن اتباع الضالين. والفعل (تتبعانّ): فعل مضارع مجزوم بحرف النهي (لا)، قال سيبويه: "إذا أدخلت الثقيلة في فعل الاثنين ثبتت الألفُ التي قبلها، وذلك قولك: لا تفعلانّ ذلك."(سيبويه، 1973، 3/ 523) وحذفت النون، لتوالي النونات، كما حذفت مع الفعل المسند إلى واو الجماعة، وشبَّه سيبويه الألف في (تتبعانّ) بالألف في نحو (رادٍّ) وقال: "إنما تثبت الألف ههنا في كلامهم، لأنه قد يكون بعد الألف حرف ساكن، إذا كان مدغما في حرف من موضعه وكان الآخر لازما للأول."(سيبويه، 1973، 3/ 524) وقال الزجاج: "مَوْضِعُ (تتبعانّ) جَزْمٌ، إلا أنّ النون الشديدة دخلت للنهي، مُؤَكِّدَةً، وكُسِرتْ لسكونها، وسكون النون قبلها، واختير لها الكسر، لأنها بعد الألف، فَشُبِّهَتْ بنون الاثنين."(الزجاج، 2004، 3/ 27) والألف: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، وهو امتدادُ صوتِ حركة العين.

وبعد إمعان النظر في سياق الآية الكريمة، أقول: إنّ حركة العين فتحة طويلة، لا يوقفها إلا سكون النون الأولى في (تتبعانّ) ، والصائت المفتوح الطويل يُعبِّرُ عن اندفاع الهواء من الرئتين، من دون حاجز عضوي يعترضه، إلى أن يلتقي بالصامت (النون الساكنة) وهذا الصامت يمنع اندفاع الهواء. وإنَّ الفعل (تتّبعان) يبدأ بتوالي التاءات، الأولى متحركة، والثانية ساكنة، والثالثة متحركة، ويقع في الحسبان أنّ هذا التتابع في الحركات: حركة فتح ثم سكون ثم حركة فتح أخرى تتبع الأولى في مقدارها، هذا التتابع في الأصوات يتناسب مع دلالة الاتّباع في الفعل (تتّبعان)؛ فالمُتّبِع ينقاد للمُتّبَع، ويسير خلفه في كل أموره. ويأتي حرف الباء بحركة مغايرة، وهي الكسر، لتناسب حالة الذل المصاحبة للمتّبِع، وتفسح المجال لبيان قوة حرف العين، وحركته المفتوحة الطويلة، وهنا تتضح سيميائية الصائت المفتوح الطويل في السياق القرآني؛ حيث جاء في الآيات ذكر علة الضلال عند فرعون ومَلَئِهِ، وهي كثرة الأموال، والزينة في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ (يونس، 88) ومن الحقائق المقرَّرة أن الضلال يمنع الناس من رؤية الحقّ، واتباعه، فيندفعون وراء شهواتهم، ولا يتوقفون إلا عند حدوث البلاء؛ وبهذا يتناسب اندفاعهم وراء الضلال والكفر إلى أن يروا العذاب الأليم، مع حالة الصائت المفتوح الطويل قبل نون التوكيد، فالهواء مندفع لا يوقفه شيءٌ، إلى أن يصطدم بمخرج النون الثقيلة. وهنا اكتسب الصائت المفتوح الطويل سيميائية خاصة بهذا السياق، وهي تُعاضدُ العلاماتِ اللسانية؛ للتعبير عن الاندفاع بقوة، ثم التوقف الناتج عن الاصطدام بما يمنعه.

المطلب الثاني: سيميائية الصائت بالضمّ

تعددت مواضع الصائت بالضم قبل نون التوكيد في القرآن الكريم، وفي كل موضع يكتسب سيميائية خاصة تختلف باختلاف دلالة السياق الذي يرد فيه؛ فعلى سبيل المثال ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوه فَلَا يُنَازِعُنَّكَ في الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج، 65) والخطاب في قوله (ينازعُنَّك) لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى: لا يُنَازِعُ أحد من الديانات الأخرى فيما يُشْرَعُ لأمتك؛ ولاينازعنك: لايجادلنك، بدليل قوله تعالى في الآية التالية: ﴿وإنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بما تَعْمَلُونَ﴾(الحج، 66) ويقال: قد نازعوه؛ فكيف جاء الخطاب للرسول، صلى

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 1637-2790، الورقي: 1629-2790. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية

الله عليه وسلم؟ الجواب: أنّ المقصود: لا تنازعهم أنت؛ لأن الفعل: ينازع، دالٌّ على المشاركة بين طرفين، هما: الفاعل، والمفعول به. والفاعل واو الجماعة مرجعه الكفار، وكذلك في الفعل (جادلوك)، وجاء في تفسير الآية أن سبب نزولها جدال الكفار في الذبائح، وقولهم للمؤمنين: تأكلون ما ذبحتُمْ وهو من قَتْلِكم، ولا تأكلون ماقتل الله.(الزجاج، 2004، 3/ 355)، (القرطبي،1967، 12/ 93 ــ 94) والفعل في جملة (لا يُنازعُنّك) مسبوق بحرف نهي، وتفكيك الجملة:

لا	ينازعوا	نّ	ك
حرف نهي، وجزم	فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل	حرف توكيد، لا محل له من الإعراب	ضمير في محل نصب مفعول به

والذي حدث في الفعل (ينازعُنّك)، بعد توكيده بالنون، أنه التقى ساكنان: (واو الجماعة، والنون الأولى) فحُذِف الساكن الأول، وبقيت ضمة العين دليلا على إعراب الفعل. أما قبل توكيده فهو (لا ينازعُوا)، وحركة حرف العين ضمة، استطالت حتى صارت صائتا طويلا، إذ يندفع الهواء من الرئتين، مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في تجويف الفم، ولا يعترضه أيُّ حاجز، وعندما يصل إلى الشفتين اللتين تستديران؛ ليخرج الصوت مضموما. ولكن بعد إلحاق نون التوكيد بالفعل، حُذِفَ جزءٌ من الصائت، وصار قصيرا، يتناسب مع مضمون سياق الآية؛ حيث جاء النهي عن المنازعة بين الطرفين، والنزاع والمنازعة يتضمنان دلالة المشاركة في نزع الشيء؛ وفي المعجم نزع الشيء: جَذْبه من مقره، والمنازعة: المجاذبة، ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة.(الراغب الأصفهاني، 2003، ن ز ع، ص 490) و"المنازعة: المجاذبة في الأعيان والمعاني، ... والمنازعة في الخصومة: مجاذبة الحُجَج فيما يتنازع فيه الخصمان؛"(ابن منظور، 1997، ن ز ع، 14/ 107) وذلك يعني أنّ النزاع بين الطرفين قد يمتد، ويتجاوز الخلاف؛ ليصير خصومة، ويتجاوز المعاني إلى الأعيان. والصائت الطويل يتناسب مع النزاع المتصاعد بين الطرفين، والصائت القصير يتناسب مع النزاع الذي لا يتجاوز الخلاف بواسطة الخطاب، ولا يتجاوز المعاني. والآية تتضمن زجرا للكفار معاصري رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من أصحاب الديانات الأخرى؛ فلكل أمة شريعة مستقلة، وأمة محمد، صلى الله عليه وسلم، هي إحدى الأمم التي جعل الله لها شريعة مستقلة، لا تتخطّاها.

ويمكن إجمال القول في إيضاح السيميائية الناتجة عن تضافر الصائت القصير المضموم قبل نون التوكيد، مع العلامات اللسانية التي تضمنتها الآية؛ حيث اتضح المضمون، بأنّ جمعا من الكفار أرادوا مجادلة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وجاء السياق القرآني بالنهي المؤكّد بالنون، وحدث تناسب بين النهي عن المنازعة، وبين الصائت القصير؛ فَقِصَرُ الصائت ناسب قَطْعَ طول الجدال مع المخالفين لشريعة الإسلام. كما حدث تناسب بين ضم الصائت، واجتماع القوم للنزاع؛ فضم الشفتين في أثناء النطق بالصائت يجعل الصوت يخرج مجتمعا من مكان ضيق، وهذا يتناسب مع معنى التجمع في مكان واحد؛ أي تجمع القوم لمجادلة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بهدف بيان ضعف دعوة الإسلام.

وهكذا يُسْهم الصائت القصير المضموم في سيميائيات أشكال المضامين التي يرد فيها، ضمن السياق القرآني، من ذلك تناسب الصائت بالضم مع تجمّع الداخلين عند موسم الحج في رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَالَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح، 27) ولما كان كثرة الدخول يصاحبها ازدحامٌ، وأذى للحجاج الداخلين من أبواب المسجد الحرام، جاءت الأحوال (آمنين محلقين ومقصرين)؛ فهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين ومحلقين ومقصربن، من دون خوف، ولا قتال؛ فضم الشفتين عند النطق بالصائت قبل نون التوكيد يناسب تجمع الداخلين إلى المسجد الحرام، وقصر الصائت قبلها يناسب الأمن المصاحب للدخول؛ لأنّ الحجاج فَرِحُونَ بهذا النصر، ولا يشعرون بأذى الازدحام وطوله، فجاء الصائت القصير منسجما مع حالتهم النفسية.

المطلب الثالث: سيميائية الصائت بالكسر

جاء الصائت بالكسر قبل نون التوكيد، في موضع واحد من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ من الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ اليومَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم، 25) فالصائت بالكسر قبل نون التوكيد في الفعل (ترينّ) يشاكل الحالة النفسية التي مرت بها السيدة مريم، عليها السلام، عندما قابلت قومها تحمل بيديها المسيح، عليه السلام، وقد تضافر الصائت بالكسر قبل نون التوكيد، مع الصوائت المكسورة في سياق الآيات التي تتضمن قصة **(ولادة المسيح عليه السلام)** لإحداث الانسجام مع حالة الضعف، والخوف، والانكسار التي كانت تسيطر على السيدة مريم، عليها السلام. بدليل أنها تمنت الموت وقت ولادة المسيح؛ لتكون شيئا منسيا لا يخطر على بال أحد. وقد جاءها النصر من عند الله، جل في علاه، في صورتين: صورة مادية، تتمثل في نهر السري تحتها، والرطب المتساقط عليها، والأخرى معنوية، تتمثل في مناداتها، وأمرها بأن تقول: إنها نذرت صوما للرحمان عن الكلام. هذا النصر الإلهي العظيم للسيدة مريم، عليها السلام، جاء مقابلا للضعف الذي كانت فيه، وناسب الصائت بالكسر ضعفها، وخوفها، وانكسارها. أما قصر الصائت فيتناسب مع قصر زمن ما كانت تعانيه من ضعف، وخوف، وانكسار؛ فعندما جاءت قومها تحمل مولودها، وعاتبوها، أشارت إليه؛ فكلمهم، وكانت المعجزة التي قويت بها السيدة مريم، وزال عنها ضعفها، وخوفها، وانكسارها.

7. الخاتمة:

وصل البحث إلى نتائج، أهمها:

1. رَصَدَ النحويون تنوُّعَ الصائت الواقع قبل نون التوكيد، واختلفوا في وصفه، ومن ثم اختلفوا في إعراب المضارع قبله.
2. عرض سيبويه مواضع نوني التوكيد، ووصف أحوال الصوائت قبلها، وعلَّلها، ولم يذكر بناء المضارع المؤكَّد بها.
3. أضاف المبرد إلى تحليل الحركة العارضة قبل نوني التوكيد أمرين: أولهما: أنّ الفعل المضارع، الذي لحقت به نون التوكيد مبني في كل أحواله. والأمر الآخر: أنّ لبناء المضارع المؤكّد علامتين، أصلية وهي الفتحة، وفرعية وهي حذف النون إذا كان الفاعلُ ضميرَ رفع ساكنا. وهذا أيسر الطرائق في تعليم الطلاب إعراب المضارع المؤكد بالنون.
4. جعل الواسطي الضرير الفعل المضارع، المؤكد بالنون، مبنيا على الفتح الظاهر على نون التوكيد، سواء أكان الفاعل ضمير رفع ساكنا، أم لم يكن كذلك.
5. انقسم الفعل المضارع المؤكد بالنون عند ابن مالك إلى قسمين: مبني إذا اتصلت النون به اتصالا مباشرا، ومعرب إذا اتصلت به النون اتصالا غير مباشر.
6. جعل الهرمي المضارع المؤكّد بالنون مبنيا على الفتح إذا كان فاعلُه غيَر ضمير رفع ساكن، ومبنيا على الضم إذا كان فاعلُه واوَ الجماعة، ومبنيا على الكسر إذا كان فاعلُه ياءَ المخاطبة. وهذا من التيسير في تعليم قاعدة الفعل المضارع المؤكد بالنون.
7. إنّ الاختلاف في تحليل نوع الصائت في آخر الفعل المضارع المؤكَّد بالنون، موجود عند النحويين قديما وحديثا، وإنّ نظام العربية فيه لواحق صرفية، لا تؤدي وظيفتها إلا باتصالها بغيرها، ولها أثر في بنيته، ودلالته، ودلالة السياق الذي ترد فيه.

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 2790-1637، الورقي: 2790-1629. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية

8. الصائت الواقع قبل نون التوكيد علامة لسانية، لها وظيفة في السياق القرآني، تختلف من سياق إلى آخر، وفي كل سياق تتفاعل مع العلامات اللسانية التي يشملها السياق نفسه، فتصدر عنها دلالات تُفْصِحُ عن المعنى المراد عند المتلقي، وهذا ما يجعل لكل صائت قبل نون التوكيد سيميائية خاصة، تختلف من سياق إلى آخر، وتكون مناسبة للعلامات اللسانية التي صاحبتها في سياقها.

9. إنّ الدراسة السيميائية لمواضع الصوائت الواقعة قبل نون التوكيد، في القرآن الكريم، والنصوص التراثية أرضٌ خصبة لدراسات نصية لم تر النور بعد؛ لذلك يوصي البحث بدراسة مواضع الصوائت قبل نوني التوكيد دراسة سيميائية، في القرآن الكريم، وفي الحديث، وفي كتب التراث العربي.

8. المصادر والمراجع:

1. حسان، تمام، (1998): اللغة العربية معناها ومبناها، ط: 3، القاهرة، عالم الكتب.
2. حساني، أحمد، (2013) : مباحث في اللسانيات، ط: 2، دبي، كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
3. حمداوي، جميل، (الاقتباس: 24/ 3 / 2021) : مدخل إلى المنهج السيميائي، مجلة ندوة الألكرونية للشعر المترجم، nadwah.

https://www.arabicnadwah.com/articles/madkhal-hamadaoui.htm

4. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (2003): المفردات في غريب القرآن، مراجعة وتقديم: وائل أحمد عبد الرحمن، القاهرة، المكتبة التوفيقية.
5. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، (2004): معاني القرآن وإعرابه، ت: د. عبد الجليل عبده شلبي، القاهرة، دار الحديث.
6. السامرائي، فاضل صالح، (1990): معاني النحو، العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد.
7. ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (1996): الأصول في النحو، ت: عبد الحسين الفتلي،ط: 3، بيروت، مؤسسة الرسالة.
8. السعران، محمود: مقدمة للقارئ العربي، بيروت، دار النهضة العربية.
9. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (1973): الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، الهيأة المصرية العامة للكتاب.
10. (1966): الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار القلم.
11. شاهين، عبد الصبور، (1980): المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة.
12. الشريف، محمد حسن، (1996): معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط: 1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
13. ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن (1998): شرح جمل الزجاجي، ت: د. إميل يعقوب، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية.
14. (1972): المقرّب، ت: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، ط: 1.
15. عضيمة، الشيخ محمد عبد الخالق، (2004): دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث.
16. القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (1967): الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث.
17. ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، (2005): ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ضبطها، وقدم لها أ. سليمان البلكيمي، القاهرة، دار الفضيلة.
18. (1990): شرح التسهيل، ت: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط: 2، القاهرة، دار هجر.
19. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب.
20. المخزومي، مهدي، (1986): في النحو العربي نقد وتوجيه، ط: 2، بيروت، دار الرائد العربي.
21. مصلوح، سعد عبد العزيز: في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، القاهرة، عالم الكتب.
22. ابن منظور، محمد بن مكرم، (1997): لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط: 2، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
23. الهرمي، عمر بن عيسى بن إسماعيل، (2005): المحرّر في النحو، ت: أ.د. منصور علي محمد عبد السميع، ط: 1، القاهرة، دار السلام.
24. ابن هشام، أبو محمد بن عبد الله جمال الدين بن يوسف، (1996): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ت: د. هادي حسن حمودي، ط:3، بيروت، دار الكتاب العربي.
25. الواسطي،الضرير، القاسم بن محمد بن مباشر(2000): شرح اللمع في النحو، ت: رجب عثمان محمد، ط:1، القاهرة، مكتبة الخانجي.

©2022 جامعة بنغازي. جميع الحقوق محفوظة. الرقم الدولي/ الإلكتروني: 1637-2790، الورقي: 1629-2790. رقم الإيداع القانوني: 2018/154 دار الكتب الوطنية